كتبها Administrator
الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:31 - تم التحديث فى الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:34

آستا .. مُعلمتي الجميلة

بقلم: ج . سكولسكي

ترجمها من الروسية أ . د. حامد طاهر

منذ زمن بعيد ، وأنا أعيش في تاللين . وقد حاولت أن أدرس الأستونية ، لغة البلد ، التي لم أحفظ منها إلا بعض العبارات القليلة جداً . مثل:

"من العيب عدم معرفة لغة الشعب الذي تعيش وسطه" أو "أنا لم أحضر الدرس" ومن وقت لآخر ، تنطق مدرستي آستا كازبيك الجملة الأولى ، أما الثانية فكثيراً ما كنت أرددها .

كتبها Administrator
الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:31 - تم التحديث فى الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:34

أنا أكبر من مُدرِّستي بحوالي عشرين سنة . وهي تبلغ من العمر حوالي خمس وعشرين سنة.

تأتي آستا في الصباح مبتسمة . بدون ابتسامة ، لم تكن تظهر أبداً. ثم نبدأ في إعراب اسم ما من حالات الإعراب الأستونية الأربع عشرة ، ونقوم بعد ذلك بإجراء المحادثة ، التي تسمى: حرة.

مثلاً تسألني آستا:

-ماذا حلمت في الليلة الماضية ؟

وأجيب ببطء ، مخرجاً كلمة وراء كلمة بصعوبة شديدة:

-لم أحلم بشيء . لقد نمت نوماً هادئاً .. وأنت بماذا حلمتِ ؟

وتجيب مفكرة:

-حلمت بأنني اجلس فوق تاللين ، على شاطئ بحيرة يوليمست . وفجأة يخرج من البحيرة ملاك ، ذو لحية، عجوز .. عجوز .. ثم يتكلم بإرهاق :

"انظري يا امرأة ، وقولي: هل المدينة ستكون مستعدة قريباً ؟"

كتبها Administrator
الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:31 - تم التحديث فى الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:34

أخمن في شكل حلمها الذي رأته ، وأرى أنها تحدثني عن أسطورة شعبية تقول إن تاللين ستختفي من الوجود إذا ما سقط الحجر الأخير من المنزل الأخير فيها . عندئذ سيقذف المالك الماء من البحيرة , ويغرق المدينة كلها.

إنني أعرف الأسطورة جيداً , لكنني أخفي ذلك . وفقط .أسأل:

- بماذا أجبت مالك البحيرة يا آستا ؟

-أنا .. لم أجب بأي شيء..

اتسعت عينا آستا , وأصبحتا أكثر استدارة , وذعراً . وكان للمعلمة ،ستا مخيّلة حية.

-إنما أسرعت إلى المدينة , ورحت أصيح في الشوارع: شيدوا .. شيدوا .. لا تتوقفوا دقيقة واحدة!

ثم تأخذ آستا نفساً , وتبتسم . وأنا احب الابتسامات على الشفاة , غير الملموسة بحمرة الماكياج , ولما اخفي هذا عن معلمتي.

وتقول آستا الجميلة:

-طبعاً كل هذا اختراع . لكنني في مقابل ذلك كنت بالأمس مشتركة مع مجموعة عمال بناء , وقد ملّطت معهم بعض الجدران.

وأسعد لان كلمات مثل " اختراع " و "ملطت" ينبغي أن تترجمها لي . وأسأل:

-وهل هؤلاء العمال أصدقاؤك ؟

لو استطعت لم أسال . فإن آستا تقوم أيضاً بالتدريس في مدرسة ليلية لعمال شبان , وفيها الكثير من البنّائين الذين تصادقهم.

-طبعًا.

-وهل يعملون بصورة جيدة ؟

من الواضح ان السؤال يقصد إلى تحويل آستا للحديث عن البناء , وترك موضوع الدرس . ولكي تنقل لنا المفهوم على نحو اكثر كمالاً , تجري الحديث باللغة الروسية . وكم يسعدني هذا . فإنني أستغرق في تأمل ابتسامتها الحلوة , ونطقها الظريف لتلك اللغة , بالاضافة إلى قلب بعض الحروف المقاربة .. وعمو
ماً , فإن لدي علاوة على سني الكبير , دراسة أعمق في علم النفس
!

وتضطرب آستا عندما تقترب الحصة من نهايتها:

-مرة أخرى , أنا اليوم التي تكلمت وتكلمت .. لكن لا بأس , في المرة القادمة ستتحدثون أنتم فقط وباللغة الاستونية.

-حسنًا .. أنا موافق.

لكن الحصة التالية ستكون في يوم الثلاثاء . وفي مساء السبت , وطوال الأحد , تسافر آستا للعمل في مزرعة جماعية , حيث تعد بعض المواد لصناعة الألبان ، كما تجري " بروفة " أخرى في النادي مع مجموعة من الممثلين الهواة
.
الخلاصة: سيكون عند آستا من الأشياء ما تتحدث عنه . وأنا أجتهد في أن أجعلها لا تخفي شيئًا أبداً . لكن نادراً ما تتحقق الآراء التربوية لدى آستا أكثر من الرغبة الطبيعية
.

في الحصة التالية , بدأت آستا:

-سنذهب اليوم في رحلة متخيلة إلى المدينة . حديقة كادربورج . أنت رجّالة . تحدث.

-الحديقة كبيرة . في الربيع , الاشجار خضراء . وغير بعيد منها يوجد بحر بالتيسكو . إنه كالسلسلة .

وتقاطعني آستا:

-هذا ردئ . فإن تلك العبارات قد عرفتها منذ عام ونصف . فكر في شيء جديد . إذا شئت عن العشاق , الذين يجلسون هناك على المقاعد الرخامية .

وأؤكد بصورة قطعية:

-إنهم يتحدثون عن الحب..

ثم أضيف , مفكراً:

-لكن المقاعد قديمة!

ويبدو جيداً أن الاحتياطي الضئيل جداً من الكلمات الأستونية يمنع خيالي من التحليق!

وتتنهد آستا:

-لا يهم . سنخرج من الحديقة .. لكن إذا شئت : في محل أثاث . أنت مشترٍ , وأنا بائعة .

وبسرعة أصيح:

كتبها Administrator
الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:31 - تم التحديث فى الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:34

-أحتاج إلى رف كتب.

-لا توجد رفوف كتب . لكن توجد مقاعد وثيرة , ومناضد ,وأباجورات - أنت مثلاً: من المحتمل أن تكون لديك شقة جديدة . وينبغي أن تكون مريحة . مثّل بنفسك: تجلس في مكان هادئ , ومن السقف يسقط ضوء خافت ..

وأسأل متعمداً اللهو:

-وأنت .. متى تحصلين على شقة يا آستا ؟

وتعبس آستا . من الواضح أن السؤال عديم اللياقة . فهي تستأجر حجرة في داخل شقة بمكان ما خارج المدينة . ومع أنها تأمل في أن تتبدل الحال , إلا أنها ما زالت سيئة.

وأحاول الاعتذار فاقول:

-لا تغضبي يا آستا . فأنا ببساطة لا أهتم بالأثاث الغالي . ما يهمني فقط هي أرفف الكتب.

-حسنًا .. حسنًا . لنذهب الآن إلى محل ثياب رجالي . أنت البائع وأنا المشترية .. أرني هذه البدلة الجميلة.

-إنها غالية جداً . تساوي أكثر من 200 روبل.

-لا بأس . عندما تريد أن تدخل علي السرور , فلا تفكر في النقود.

-لكن أي سرور تحصلين عليه من شراء بدلة رجالي ؟

كتبها Administrator
الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:31 - تم التحديث فى الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 16:34

-البدلة تناسب زوجي

وفجأة أسألها بالروسية:

-هل أنت متزوجة يا آستا ؟

فتجيب بلهجة واعظ:

-أية جرأة .. إنما نحن نتمرن باللغة الأستونية!

وما تلبث آستا أن تخرج . وأظل أنا خلف نافذة الفصل,

أشاهد شعرها الناعم وهو يتطاير في الريح . وأقول لنفسي:

-ربما لو كنت أصغر عشرين سنة .. كانت دروسنا تسير على نحو أكثر نجاحًا!